علاقة علم المصطلح بالترجمة

د. روبحي لخضر
جامعة المسيلة –

مقدمة: كانت الترجمة ولا تزال وسيلة للتواصل الحضاري وهي العتبة والأداة التي نعبر بها نحو الآخر، والهوائي الذي نلتقط به علوم وإنجازات الآخرين، فضلا عن كونها سببا قويا ومؤشرا بارزا على مدى التقدم العلمي والثقافي للأمم، وليست هذه الأداة وليدة اليوم أو حتى مئات السنين بل هي صنعة ولدت مع التاريخ. وقد أدرك العرب المسلمون والأوروبيون والمسيحيون فعالية هذه الأداة فترجم العرب علوم اليونان والفرس والهنود، وترجم الأوروبيون ما أنجزه العرب في الطب والفلك والرياضيات. وضروري في هذا الصدد أن نشير إلى أهم عنصر في العمل الترجمي بل قل هو حجر الزاوية في ذلك ألا وهو المصطلح، أي القالب اللفظي الذي يعبر به عن الفكر أو المضمون.

تعريف المصطلح :

I – الدلالة اللغوية: كلمة (المصطلح) في اللغة العربية مصدر ميمى للفعل (اصْطَلَحَ) من المادة (ص. ل. ح). حددت المعجمات العربية دلالة هذه المادة بأنها «ضد الفساد» [1] . ودلت النصوص العربية على أن كلمات هذه المادة تعنى - أيضا – الاتفاق، وبين المعنيين تقارب دلالي، فإصلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم. وأثبتت المعجمات العربية الجامعة قدرا كبيرا من كلمات هذه المادة الواردة في نصوص عربية. نجد من هذه المادة الأفعال : صَلَحَ، صَلُحَ، صَالَحَ أصْلَحَ، تَصَالَحَ، اصّالَح، والمصادر: صُلْح، صَلاح، ومُصَالَحة وإصلاح واستصلاح، والمشتقات : صَالِح، وصليح، ومُصْلِح، وصلحاء، ومَصْلَحَة .

وقد ورد لفظ الصلح في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) النساء: 128. والإصلاح في قوله عز وجل: (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ) هود: 88.

ونذكر أنه قد وردت بعض الألفاظ المشتقة من الأصل "صلح " في المعاجم اللغوية القديمة مثل اصطلحا وتصالحا وغيرها دون تحديد معانيهما. ويقول صاحب الصحاح: (وقد اصطلحا وتصالحا واصّالحا أيضا مشددة الصاد). وأول معجم لغوي تناول لفظ الاصطلاح هو "معجم تاج العروس" "للزبيدي" حيث يقول : (والاصطلاح اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص) [2].

وفي اللغات الأوربية يكاد يتفق التعبير على لفظ "مصطلح" نطقا وكتابة ففي الإنجليزية يطلق عليه لفظ "Term" وهو نفس اللفظ في الهولندية والدانيماركية والنرويجية والسويدية ولغة ويلز والألمانية و" Terme " في الفرنسية، و"Termine" في الإيطالية، و"Termino" في الإسبانية و"Tremo" في البرتغالية و"Termin " في الروسية والبلغارية [3].

2 – الدلالة الاصطلاحية: لم يرد في كتب اللغويين القدامى تعريف إصطلاحي للمصطلح، إلا تعريف واحد للشريف الجرجاني الذي عرفه بقوله: "هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ينقل من موضعه الأول"[4] لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيره .

وجاء اهتمام اللغويين المتأخرين بتعريفات المصطلح بعد القرن الثامن الهجري ومن ذلك تعريف محي الدين الكافيجي[5] للمصطلح بقوله: "هو ألفاظ مخصوصة موضوعة لمعان يمتاز بعضها عن بعض باعتبار قيد يميزه عنه وسبب إطلاقها عليها هو الاتفاق على وضعها لمعان لتحصل عند استعمالها مع أداتها إصلاح المعاني ودفع فساد التباسها بعضها ببعض" [6].

ويذكر بعض الباحثين اللغويين أن العرب تطرقوا لموضوع المصطلح وعلم المصطلح من خلال بعض المسميات كالحد مثلا، بحيث ألفوا مؤلفات بهذا

الاسم كالحدود لجابر بن حيان، والحدود والرسوم للكندي، والحدود في النحو للرماني، والحدود الفقهية لابن عرفة وغيرها ...

تعريف علم المصطلح: يعرف علم المصطلح عادة بأنه "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبّر عنها"(7).

وهو حسب تعريف المنظمة العالمية للتقييس: "دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية"(8).

ميدان علم المصطلح: ومن خلال هذين التعريفين يتضح لنا أنّ لعلم المصطلح ميدانين رئيسين:

أولهما: المفاهيم العلمية، وثانيهما " المصطلحات اللّغوية.

وللاضطلاع بتلك المهمة، يقوم المصطلحي أولا بتقطيع الواقع أو بتقسيم الأشياء والظواهر في الوجود وتصنيفها، وهو تقسيم يتباين من حضارة لأخرى ولهذه الأشياء والظواهر سواء أكانت محسوسة أم مجردة – تمثيلات ذهنية يطلق عليه اسم المفاهيم.

ويتمثل الميدان الثاني من ميادين علم المصطلح في دراسة المصطلحات اللغوية والعلاقات القائمة بينها، ووسائل وضعها وتوليدها، وكيفية دمجها في بنية العلم الذي تنتمي إليه وهذا النوع من الدراسة في صلب علم المفردات وعلم تطور دلالات الألفاظ، وهما من مجلات علم اللغة أو اللسانيات .

علم المصطلح ذو أفق عالمي مثل علم اللغة بصفة عامة، يتطلب التوحيد المعياري للمصطلحات أسسا ونظرية عامة، ولهذا فإن التعاون الدولي الوثيق هادف إلى أن يطور أسسا شاملة لعلم المصطلح ومناهج دقيقة لصناعة معاجم المصطلحات، من أجل تقنين العمل في هذا المجال.

يهتم علم المصطلح بالكلمة المكتوبة ولها عنده المكانة الأولى، في حين أن البحث اللغوي ينطلق أساسا من الصيغة المنطوقة وذلك باعتبار اللغة في المقام

الأول ظاهرة منطوقة مسموعة. ولكن علم المصطلح يجعل المصطلحات في شكلها المكتوب مجالا لعمله، وذلك لأن هذه المصطلحات تستخدم في المقام الأول في المطبوعات العلمية المختلفة، وتستخدم في مرحلة تالية في التواصل المنطوق. وعلى المستوى الدولي هناك مجال كبير لتوحيد المصطلحات على المستوى المكتوب.

يقوم علم المصطلح بتحديد قيمة مكونات المصطلح، ويتضمن التوحيد المعياري للمصطلحات اختيار المصطلح المناسب ووضع المصطلح الموجود، وهو أمر لم يكن يهتم به علم اللغة في اتجاهاته السائدة وكان مقصورا على صناعة المعجم.

وأخيرا فإن علم المصطلح يهتم كذلك بتوثيق المصطلحات لتيسير استعمالها سواء أكان هذا التوثيق آليا (بالحاسوب) أم كتابيا (بالمعاجم المتخصصة).

وهناك من يميز بين نشاطين من أنشطة العمل المصطلحي : علم المصطلح (terminologie) الذي يتناول الجانب النظري بدفتية النظرية العامة والنظرية الخاصة [9]. والمصطلحية (terminogrqphie) الذي يختص في كيفية توثيق المصطلحات وإعدادها للنشر في معاجم متخصصة. والراجح أن المعجمي والمصطلحي الفرنسي ألان راي (Alain Rey) هو في مقدمة الذين أشاروا إلى هذا الفرق وأكدوه [10] .

تعريف الترجمة:

لقد ورد لفظ الترجمان في القاموس المحيط بضم التاء والجيم " تُرْجُمان " وبفتح التاء وفتح الجيم ومعناه المفسّر للسان، وهو مأخوذ من مادة "ت. ر.ج.م" وهذه المادة يطلق عليها الصرفيون اصطلاح "الفعل الرباعي المجرّد" عندما تكون في الصيغة الفعلية "ترجم" ومصدر هذا الفعل "ترجمة". فإذن الترجمة هي التفسير للسان والمقصود باللسان الكلام الأعجمي "غير العربي"، والترجمة عند الإطلاق

تعني النقل من لغة إلى أخرى كما أنها تطلق ويراد بها تاريخ حياة الإنسان ومنها سميت الكتب التي تتناول شخصيات تاريخية بكتب التراجم.

وقد تعرض الجوهري في صحاحه إلى لفظ "ترجم" على المعنى الأول فقال" ويقال قد ترجم كلامه بلسان آخر ومنه الترجمات والجمع تراجم"[11]. وعرّف أنيس المقدسي الترجمة بقوله " الترجمة نقل الأفكار من لغة إلى لغة ؛ أو هي تفسير الكلام بما يقابله في لسان آخر "[12].

والترجمة كلمة معرّبة اشتق منها اسم الفاعل فقيل ترجمان، وهو لقب أطلق في صدر الإسلام على عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقيل: ترجمان القرآن، أي المفسر له.

والترجمة في مفهومها الأكاديمي هي حركة ثقافية ونشاط علمي وعمل لغوي.

تحديد العلاقة:

I - المعنى بين المصطلحي والمترجم :

من الواضح أن كلا من المترجم الذي ينقل نصا من اللغة (أ) إلى اللغة (ب)، والمصطلحي الذي ينقل مصطلحات من اللغة (أ) إلى اللغة (ب) يُعني بنقل معنى تلك المادة، فكلاهما يسعى إلى الهدف ذاته أي فهم المعنى المقصود ونقله بدقة وأمانة. وهذا يتطلب منهما تمكنا من اللغتين ودراية معمقة ببنياتهما الصرفية وتراكيبهما النحوية وأساليبهما وثقافتيهما. ولهذا يبدو لأول وهلة أن المصطلحي والمترجم يقومان بالوظيفة ذاتها ولابد أنهما يحتاجان إلى ذات الإعداد ونفس التكوين. ولكننا إذا أمعننا النظر في الأمر ألفينا فروقا لا يمكن إغفالها.

فالمصطلحي لا يعنى بنقل المصطلحات من لغة إلى أخرى فقط، فهذه إحدى وظائف المصطلحي، وله وظيفتان أخريان: الأولى توليد المصطلحات باللغة ذاتها من دون الانطلاق من لغة ثانية وإنما انطلاقا من المفهوم المطلوب التعبير عنه

بمصطلح لغوي، والوظيفة الثانية: توحيد المصطلحات القائمة في اللغة بحيث يعبر المصطلح الواحد عن مفهوم واحد ويعبر عن المفهوم الواحد بمصطلح وفي كلتا الحالتين لا يتعامل المصطلحي مع لغتين وإنما مع لغة واحدة.

ومن ناحية أخرى، فإن المترجم يتعامل دائما تقريبا مع نص كامل يرغب في نقله من لغة إلى أخرى، في حين أن المصطلحي لا يتعامل في العادة إلاّ مع مصطلح واحد بسيطا كان أم مر كبا، ولا يعالج نصا كاملا إلا إذا كان يقوم بدراسة طبيعة لغة علم من العلوم من حيث بنياتها وأساليبها .

ومن ناحية ثالثة، فإنه على الرغم من أن كلا من المصطلحي والمترجم يعنى بالمعنى ويسعى إلى استيعابه ونقله، فإنه يبحث عن معنيين مختلفين فالمصطلحي يبحث عن معنى (الشيء) أو (المفهوم) الذي يمثله اللفظ المراد ترجمته، في حين يبحث المترجم عن معنى (التسمية) التي يسمى بها ذلك الشيء أو المفهوم. وهكذا فإن المصطلحي مضطر إلى التعريف بماهية (الشيء) وتحديد عناصره الرئيسة والوقوف على جنسه وفصله ليتمكن من إلحاقه بمنظومة المفاهيم التي ينتمي إليها، غير أن المترجم لا تعنيه تلك الأبحاث المنطقية والوجودية بقدر ما يعنيه معرفة معنى الكلمة في السياق الذي استعملت فيه ومن ثم معرفة المعنى الكلي للعبارة والفقرة اللتين يقوم بترجمتها [13].

المصطلحي يستعين بوسائل لغوية محددة لوضع المصطلحات الجديدة أو توحيد المصطلحات القائمة. وهذه الوسائل اللغوية تشترك فيها جميع اللغات على الرغم من تفاوتها في ترتيب أهمية هذه الوسائل أو شيوعها فيها.

وبالعربية ترد وسائل توليد المصطلحات على الترتب التالي: الاشتقاق والمجاز، والتراث، والتعريب، والنحت.

وتتشابك العلاقة بين المصطلح اللغوي والترجمة كما تتشابك أغصان شجرة المعرفة الباسقة المتنامية. فعلم المصطلح علم جديد النشأة شهد القرن العشرين مولده، على الرغم من أن توليد المصطلحات ذاتها بدأ منذ أن شرع

الإنسان باستعمال اللغة أداة للتواصل. ولقرون عديدة خلت كان المترجمون هم الذين يتولون وضع مقابلات للمصطلحات الأجنبية التي يأتون عليها أثناء عملهم في ترجمة الكتب، فشاع بين الناس أنّ المصطلحات يولدها المترجمون حتى بعد أن استقل علم المصطلح بذاته ونأي بنفسه عن الترجمة.

ومنذ أن بدأ الاحتكاك بين الجماعات البشرية المنظمة، والترجمة شفهية أم تحريرية، تقوم بدورها بوصفها أداة للتواصل الإنساني، ولعلّ أقدم أجهزة الترجمة التحريرية المؤطرة بمترجمين مزودين بمعاجم ثنائية اللغة وجدت في الإمبراطورية البابلية في العراق قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام [14].

ومنذ ذلك الحين والترجمة تُعَدُ فنًا يعتمد على حذق المترجم وتمكنه من اللغتين الناقلة والمنقول منها واطلاعه على ثقافتيهما ومعرفة الموضوع النص المترجم.

وفي حوالي منتصف القرن العشرين الميلادي أخذت المحاولات تتوالى لإخضاع الترجمة لمنهجية علمية ووضع نظريات خاصة بالترجمة. وقد شجع على ذلك ثلاثة تطورات:

أولها، التطور الذي أصاب علم اللغة بشكل عام ونظريات الدلالة بشكل خاص. وثانيها، ظهور نظرية الاتصال على يد باحثين من أبرزهم جارلس مورس[15]. وجورج ميلر وثالثها، الشروع في استخدام الحاسوب في إجراء الترجمات الآلية وما يتطلب ذلك من منهجية وتنسيق وضبط.

هذا وتتفق نظريات الترجمة على أنّ الاتصال اللّغوي بما فيه الترجمة – لا تقتصر عناصره المؤثرة على المرسل والمتلقي والرسالة فحسب، وإنّما تشتمل كذلك عل السياق، والوسط الذي تنتقل فيه الرسالة، أو المؤثرات الخارجية التي ينتج عنها استحالة بلوغ الرسالة إلى المتلقي أو وصولها إليه بصورة مشوّهة أو مختلفة.

وهكذا بحثت نظريات الترجمة في السياق الثقافي والاجتماعي التي تصاغ فيه الرسالة ومدى تأثر الترجمة جرّاء توافق أو تباين اللغتين الناقلة والمنقول منها من حيث بنياتهما الصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية. وما ينجم عن ذلك من ضرورة إحاطة المترجم بالوسط الثقافي والاجتماعي للغتين ليتمكن من سدّ الثغرات الموجودة في اللغة الناقلة عند الضرورة.

وفي مبحث الدلالة تطرقت نظريات الترجمة إلى صيغة المعنى بتحليل العلاقة بين الشيء والمفهوم والكلمة، أو بين الدال والمدلول والدّليل طبقا لمثلث أو كدن وريشاردز[16]

والنص لا يتشكل من قائمة مفردات وحسب وإنما من بيانات نحوية ودلالية وأسلوبية تنتظم بينها تلك المفردات، ولهذا فإنّ معنى النص لا يساوي بطريقة حسابية مجموع معاني المفردات المكونة له.

ولذلك فإن للكلمة الواحدة عدة معان طبقا للسياق الذي ترد فيه. وقلّما نجد كلمة تقتصر على معنى واحد على مرّ العصور نتيجة لظواهر لغوية عديدة مثل (التفسير الدلالي) و(التوسيع الدلالي) و(المجاز) وغيرها، إضافة إلى ذلك فإنّ لكل كلمة إيحاءات وظلالاً هامشية ترتبط بثقافة المرسل والتلقي وخبراتهما العاطفية والاجتماعية.

2 – الترجمة متوقفة على صحة المصطلح ودقته: إنّ نجاح العملية الترجمية ودقتها مرهونان بمدى وعينا بمركزية دور المصطلح في ذلك ويستخلص من ذلك أن : (الترجمة الفاعلة هي تلك التي تنطلق من فهم وتمثل المصطلح في اللغة الأصل وضبط إطاره النظري وكثيرا ما أدى الابتعاد عن هذه الأسس في العمل الترجمي إلى ما يسمى بالاضطراب ...)[17].

وغني عن البيان أن الترجمة من زاوية المصطلح بقدر مالها من شأن ومزية في نقل العلوم والتكنولوجيات والآداب بقدر ما هي أداة لتنمية اللغات وإغنائها فبفضلها تثرى اللغة بالمصطلحات المستحدثة وإلى ذلك أشار المترجم المغربي هيثم

الخياط في قوله : (فالترجمة إذن هي الوسيلة الأولى لدفع القصور عن اللغة وسد النقص في الأدب وكشف الظلام عن الأمة) [18].

فاتضح إذا مما سبق بيانه أن عملية نقل المعارف والعلوم إنما يتبوأ المصطلح فيها ويحتل صدر النادي في الأهمية فمفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى فهي مكمن حقائق العلوم وبها تؤخذ نواصي المعارف وتدرك الفهوم وهي عنوان يتميز به كل اختصاص وعلم عن غيره (وليس من مسلك يتوصل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاتها إلا محاور العلوم ذاته [19].

ولما كان للمصطلحات هذه الأهمية ونظرا لما يشهده العالم من توالد سريع للمصطلحات في جميع المجالات بجميع اللغات، كان لزاما على اللغة العربية أن تدرك جدية المسألة، وتوجب على أهلها تدبر الأمر بإيجاد آليات مناسبة لوضع مقابلات لما يتهاطل من مصطلحات أجنبية، آليات من شأنها ضمان المواكبة والتواصل العالميين.

من هنا، ومن كل ما سبق يمكن القول بأن للمصطلح علاقة بالترجمة. فحاجتهما إلى بعض لا تنتهي، ودائرتهما لا تغلق، ومجالهما لا يحد. فهما علمان دائمان للتجدد والتطور مرتبطان بنمو المعرفة الإنسانية واستيعاب معطيات التقدم العلميّ والتقنيّ.

الهوامش

1-انظر مادة (صلح)، وفي الصحاح: الصلاح ضد الفساد، تقول: صلَحَ الشيء يصلح صلوحا. قال الفراء : وحكى أصحابنا صلَحَ أيضا بالضم .....، الصلاح المصالحة.... والإصلاح نقيض الإفساد. والمصلحة واحدة المصالح. والاستصلاح نقيض الأفساد. انظر النص في: الجوهري، صحاح اللغة وتاج العربية، القاهرة 1956، وفي : الصحاح في اللغة والعلوم، بيروت 1975.

2- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، د ت، د ط. (صلح). ص 867.

3- ينظر د. مصطفى طاهر الحيادرة: من قضايا المصطلح اللغوي العربي. ط 1، 2003 عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ص 15.

4 - ينظر د. جاسم محمد عبد العبود: مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 2007 ص 15.

5 – محي الدين الكافيجي عالم من علماء الحديث اهتم بالأدب واللغة وله باع طويل في علم المصطلح، توفي سنة 879 هـــ.

6 - ينظر د. جاسم محمد عبد العبود: مصطلحات الدلالة العربية نفس المرجع السابق، ص 15.

7-مجلة اللسان العربي، العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، د علي القاسمي، العدد 40 1995، ص 106.

8 – د. مصطفى طاهر الحيادرة: من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ص 19.

9- مقال: "النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس عدد خاص 4، (1988) ص15 – 16.

10- Alain Rey La Terminologie Noms et Nations (Paris Puf 1979

11- الجوهري، إسماعيل بن حماد : تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، مادة : ترجم.

12- مجلة المقتطف، أصول الترجمة والتعريب، أنيس المقدسي، عدد مارس 1929، ص 271 .

13-ينظر مجلة اللسان العربي، العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، ص 109 – 110.

14 -Gharlesl Morris Signs Language Amd Behaviour New York Prentice –Hall

15 -George Miller Language and communication New York MeGraw- Hill 1951.

16- مجلة اللسان العربي، العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، ص 108 .

17 – رشيد بن مالك: إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة، نص مداخلة ألقيت في الملتقى السادس حول الترجمة والاختلاف، 2000، جامعة وهران ص4.

18 – محمد هيثم الخياط: أهمية الترجمة في نشر العلم ورفع مستوى التعليم، ندوة حول الترجمة العلمية، الرباط، 1995، ص40، والنص من رسالة للمرحوم حسن الزيات.

19 – أنور لوقا: التساؤل على شفا المنزلق، مجلة فصول عدد، سنة 1987، ص 15 .